١٧٨ مدرسة مبنية من الطين في محافظة واسط وحدها !

هل سمعتم بحكاية المدرسة التي طارت ؟

واسط - جبار بجاي

لم يعد الثعبان وحده زائرا يوميا لتلاميذ مدرسة (المتوكل) . التي تقع في ريف المزاك بناحية الأحرار في محافظة واسط والمشيدة من الطين والبلوك. بل هناك من الضفادع ما يفوق عدد تلاميذ المدرسة . والسلحفاة كانت يوما ما. ضيفا خفيف الظل في جناح الإدارة المتهرئ

يقول السيد عدنان حسين الذي كان معلما في مدرسة (الزهراء) الابتدائية التي تقع في ريف الناحية ذاتها ومشيدة من الطين والبلوك أيضا .. كثيرا ما كان يزعجنا منظر الجرذان التي كانت تتجول في الإدارة والصفوف غير مبالية بوجودنا أو وجود التلاميذ . ربما أصبحت أليفة على النحو الذي جعلها تمرح هكذا في أرجاء المدرسة لكن منظرها هو افضل من منظر الثعابين والضفادع التي يعلو نقيقها عند موسم التكاثر او عند إلقاء نشيد المدرسة في الاصطفاف الصباحي.

طيران مدرسة

روى لي الزميل الصحفي ماجد البلداوي حكاية مدرسة ريفية مشيدة من الطين والقصب والبردي طارت من مكانها لتحط في مكان آخر يقول : سمعت ذات مرة حكاية مدرسة تطير لم اصدق في بداية الأمر.. حتى التقيت السيد (شريف عبد الحسين محمد علي) مدير مدرسة (ابن جبير) التي تقع في منطقة (الحشرية) في اهوار المجر الكبير بمحافظة ميسان الذي أكد لي طيران المدرسة عندما اقتلعتها رياح شديدةٍ لتتناثر هنا وهناك فما كان عليَ إلاّ أن استنجد بأهل المنطقة لبناء مدرسة جديدة خشية من العقوبة المحتملة من مديرية (المعارف) لو إنها علمت بالأمر. فتم بناء المدرسة في ثلاثة أيام.

وبحسب رواية الزميل ماجد فان مدير المدرسة كان قد ابلغ مديرية المعارف آنذاك بكتاب جاء فيه :

السيد مدير المعارف في لواء العمارة المحترم..

((نحيطكم علما أن مدرستنا مدرسة (ابن جبير) قد طارت من مكانها لتحط في مكان آخر)) فكان أن علق مدير المعارف على اصل الكتاب ((الحمد لله على سلامتكم وسلامة التلاميذ ولكن مدرستكم لم تحط في مطار التربية حتى الان!))

لم تكن هذه الأحداث شيئاً من الخيال بل هي واقع حصل في ستينيات القرن الماضي يوم كانت اغلب المدارس في العراق مشيدة من الطين أو القصب والبردي وبعضها لا يزال على حاله حتى ألان رغم بعض التغيرات البسيطة التي حصلت عليها. ولعل من المساوئ الأخرى في المدارس الريفية صعوبة الوصول إليها بسبب وعورة الطرق أو بعدها عن مراكز المدن مما انعكس سلبا على ملاكاتها حتى أن أحد المعلمين في مدرسة (العدل) في إحدى المناطق النائية بمحافظة واسط كان قد تقدم بطلب إلى التربية لنقله إلى مدرسة أخرى غير (العدل) التي كانت تعزلها الأمطار في الشتاء ويتعذر على المعلمين مغادرتها لأسابيع.. فكان أن صدر له أمر للنقل إلى مدرسة (الاعويج) التي يدل اسمها على النهر الأعوج المشيدة قريبا منه وهي مدرسة لا تختلف عن العدل إلاّ بالاسم فما كان من المعلم إلاّ أن يبعث مع (المفتش) الذي زار مدرسته الجديدة ببيت شعري إلى مدير التربية قال فيه:

أنا بالعدل ما كنت استقمت
فكيف وبالأعوج استقيم

إذن هكذا هي مدارس الطين كانت ولا تزال تشكل أعباء كثيرة على المعلمين أنفسهم وعلى التلاميذ وعلى التربية أيضا وهي الان تأخذ حصة كبيرة بين المدارس الأخرى إذ لم يكن هناك تفكير جدي بالخلاص من هذه المدارس التي يوجد منها حتى الان في محافظة واسط وحدها (١٧٨) مدرسة مشيدة من الطين والبلوك

> كيف يشعر تلميذ في الصف الثاني الابتدائي لو وجد ثعبانا يتجول تحت رحلته وبين قدميه ؟ بينما كان الثعبان القاتل يتجول تحت أقدام التلاميذ بعد أن قدم من ناحية النهر الذي يحيط بالمدرسة من الشمال والغرب كان (عناد السامان) معلم الثاني (ب) يواصل تدريسه للتلاميذ وهو يربت على كتف هذا وذاك ليزرع فيهم الطمأنينة والاستقرار.. فالرجل يخشى أن ينتبه أحد تلاميذه ليرى الثعبان يتلوى تحت أقدامهم..

أخطاء من يتحملها ؟

السيد تحسين علي حسين المدير العام لتربية واسط يقول : لم تعد مدارس الطين التي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا غير أنها تشكل أمرا مزعجا لنا بوصفها ظاهرة تدل على التخلف الذي يلف المجتمع ويعكس الواقع السيئ للتعليم في العراق وكان من أسباب زيادتها في السنوات الأخيرة التخطيط غير السليم من قبل المسؤولين ليس في قطاع التربية وحدها بل بالمسؤولين في الإدارة السابقة وفي البعث المنحل الذين كانوا يقومون بفتح مثل هذه المدارس دون تخطيط منظم وبعيدا عن الحسابات المنطقية فأحيانا تشيد مدرسة من الطين لتلاميذ لا يتجاوز عددهم أحيانا (٢٠) تلميذا وبالطبع تكون بمرحلة واحدة وتشيد على نفقة الأهالي وان كانت لا تكلف شيئاً وهي بحسب حسابات هؤلاء تعد إنجازا كبيرا حتى اصبح عدد مدارس الطين يتزايد بينما كان من المفروض ان تختفي هذه المدارس حتى أصبحت لدينا حاليا (١٧٨) مدرسة منها، كل واحدة تشكل عبئاً كبيرا علينا وأضاف : لم تعد هذه المدارس تقلنا وحدنا فقط بل لها من المساوئ الكثير على التلاميذ والهيئات التعليمية وعلى الأهالي، لذا فنحن ألان نعد خطة أو بالاحرى اكملناها، تهدف الى القضاء كليا على مدارس الطين بعد شمولها بعملية البناء لتكون مدارس مشيدة وفق تصاميم حديثة إذ أن اغلب هذه المدارس تتوزع في ألا قضية والنواحي وفي المناطق النائية مشيرا إلى فيلق مهندسي الجيش الأمريكي وافق مؤخرا على تحديث ثماني مدارس منها في قضاء النعمانية وقد باشروا فعلا في تشييد مدارس حديثة في أماكن المدارس المذكورة المشيدة بالطين والبلوك.

وأكد أن البناء غير الصحيح لتلك المدارس جعل لها تأثيرات صحية أيضا على حياة التلاميذ فإلى جانب كونها لا تقاوم الظروف الجوية الشديدة مثل الأمطار والرياح العاتية فهي تعد ملاذا آمنا للزواحف والحشرات والأفاعي والفئران وغير ذلك وهذا بذاته ينعكس سلبا على صحة التلاميذ وفي هذا الجانب هناك قصص كثيرة ومروعة بعد أن تعرض الكثير من التلاميذ إلى لدغات الأفاعي.

وكيف تنظرون إلى عملية الترميم التي تجري حاليا للمدارس الأخرى وتتزامن مع الدراسة ؟

أهون الشرين!

هذه مشكلة أخرى نحن كجهة مستفيدة نريد الأعمار والترميم لمدارسنا التي تحتاج إلي ذلك إذ أن اغلب أعمال الترميم هي على حساب المنظمات والهيئات الدولية الإنسانية أو القوات المتعددة الجنسيات فهي التي تقوم بالكشف وتحديد نوع العمل وكنا قد طلبنا من هذه الجهات أن يكون الترميم والاعمار في أثناء العطلة غير ان لهذه الجهات برامجها الخاصة، فلو رفضنا الترميم خلال الدراسة سنخسر وحدنا ويمكن لهم استثمار المبالغ في مكان آخر. المهم أننا نتحمل عبء هذه الأعمال وطلبتنا يتحملون ذلك أيضاً ولكن علينا أن نرضى بأهون الشرين وهو القبول بالترميم حتى ان كان في أثناء الدراسة .

السيد مدير تربية واسط يرى أن أمام الحكومة الجديدة والحكومة التي ستشكل نهاية العام الحالي بموجب الدستور الخيار الوحيد للقضاء كليا على مدارس الطين والبلوك ومدارس القصب والبواري في كل أرجاء العراق، وهي كثيرة جدا، واعادة بنائها مجددا وفق الطراز الحديث لتكون متوافقة مع عملية النهوض التي سوف يشهدها العراق في العهد الجديد، وبذلك لن يبقى التلاميذ يخشون فحيح الأفاعي ونقيق الضفادع التي تتجول معهم في الصفوف!

تحت الضوء

حسين محمد عجيل

المبادرة الشعبية مرة أخرى!

حتى وقت قريب كان السائحون الغربيون وغير الغربيين الذين يدخلون بلاد الصين يشكون من أنهم وإن عبروا الحدود وإن اخترقوا سور الصين، يواجهون أسواراً لا حدود لها تحول بينهم وبين معرفة ما يجري من تحولات في دخيلة المواطن الصيني. وكان هؤلاء السائحون يخرجون بانطباع يتكرر معهم في كل زيارة لهذا البلد الآسيوي العريق، فحواه أن الصيني أعمق رجل في العالم.

نذكر هذا المثال بإزاء ما يحدث عندنا من اختراقات قاتلة في الجدار الأمني يذهب ضحيتها كل يوم عشرات من المواطنين الأبرياء ومن منتسبي الأجهزة الحكومية على مختلف اختصاصاتها ومهامها، وينتج عن هذا وذاك في نهاية المطاف استمرار بقاء قوات الاحتلال إلى أمد أطول! فضلا عما ينجم من هذه العمليات الإرهابية من خسائر اقتصادية ذات طابع كارثي لدول مترفة فما بالك بدولة كالعراق مستنزفة حتى العظم من الجميع، إلى درجة أن مسؤولين (كبارا) في الأمم المتحدة كانوا من ضمن الذين اشتركوا في افتراسها!

لا شك في أن بؤر الإرهاب المستورد وجدت لها حاضنة داخل العراق وفرت لها عوامل الحياة والحركة والدعم اللوجستي بحيث أنها تحولت في ظرف سنتين تقريباً إلى مستعمرات سرطانية تنتشر في مناطق ساخنة أجهزت، أول ما أجهزت، على الجسد الذي استعمرته. إلى الدرجة التي اكتشف فيها الكثير من أولئك الذين ساعدوا في توفير هذه الحاضنة أنهم زرعوا في أجسادهم سرطانا خبيثا ويجب عليهم طلب المساعدة لعلاجه. مع معرفتهم الكاملة بصعوبة هذا العلاج الذي يتطلب في معظم الأحيان تدخلا جراحيا قاسيا. ألم تقل العرب: آخر العلاج الكي؟ واليوم وبعد أن تمكنت خلايا الإرهاب من الاستيلاء على مواطن قدم في أكثر من مكان في أنحاء البلاد. نتساءل ما السبيل لإيقاف عمليات دخول المزيد من الإرهابيين إلى العراق؟ وكيف يمكن التخلص من الناشطين منهم على الساحة العراقية؟ خصوصاً بعدما تكشفت الأوراق للجميع على نحو يشعر بالخجل ويدعو الى التقزز مما ارتكبوه من جرائم، وظهرت حقيقة المخططات التي يسعى هؤلاء لتنفيذها وهي تصب في غير المصلحة العراقية حاضرا ومستقبلا.

وأول ما يجب قوله أن واجب اجتثاث هذه البؤر إنما هو مسؤولية مشتركة بين المستويين الشعبي والرسمي وما بينهما من منظمات المجتمع المدني والأحزاب والجمعيات، مع التنسيق بين هذه المستويات بما يعطي نتائج سريعة. ومن جانب آخر يجب ايضا وضع آليات عملية تشجع المبادرة الفردية للإبلاغ عن أماكن وجود هؤلاء على أن تكون الجهات الأمنية سريعة التصرف لمعالجة أي خرق محتمل في الجدار الأمني في ضوء المعلومات المتسلمة، وأن تحافظ في الوقت نفسه على شفافية تعاملها مع هذه التبليغات بحيث لا تتسبب للمبلّغ بأي إشكال قد يؤثر في حياته. ومثل هذه التجربة وإن وجدت لها مجالات للتطبيق خلال المدة التي أعقبت الانتخابات العامة يوم ٣٠ كانون الثاني الماضي، إلا أن المنتظر من إجراءات الحكومة الجديدة المنتخبة أن تجيء أكثر فاعلية لإقناع أكبر نسبة من المواطنين بأهمية اللجوء إلى الأجهزة الأمنية في حالة وقوفهم على أية معلومات تؤكد أن جهة ما تخطط لعملية إرهابية.

إن إعادة الشعور بالمواطنة على نحو عملي بين جمهرة المواطنين- بعد أن أجهز عليها النظام المتفسخ من خلال برنامج تخريبي عمل عليه عقودا رسخ فيه الخوف والسلبية وفقدان روح المبادرة- ستكون واحدة من أهم عوامل ترصين الجدار الأمني لبلاد تحاول الخروج من عنق زجاجة الإرهاب.

كتاب المدى المجاني

في ديالى يعدّونه مشروعاً حضارياً يجب أن يستمر

ديالى- المدى

أثارت مبادرة (دار المدى للثقافة والنشر) بتوزيع كتاب مجاني، في كل شهر، مع (جريدة المدى) وثماني صحف أخرى داخل العراق وخارجه، اهتماماً واسعاً بين جمهرة القراء الذين رأوا في هذا المشروع الحيوي غير المسبوق خطوة بالاتجاه الصحيح لترسيخ تقاليد جديدة في حياتنا الثقافية تكون فيها للكتاب المطبوع المكانة التي يستحقها. وبعد صدور تسعة كتب خلال التسعة أشهر الأخيرة تكونت انطباعات وملاحظات عديدة عند أولئك القراء، في هذا الاستطلاع تحدث عدد من متابعي وقراء السلسلة في محافظة ديالى، عما يعنيه لهم هذا المشروع التنويري الكبير.

مشروع حضاري

يقول علي الحجية . مراسل جريدة (الصباح الجديد) في ديالى: هذا مشروع حضاري، ويا ليت الصحف الأخرى تحذو حذو (المدى) وتوزع كتباً مجانية في كل شهر لتزداد الفائدة. فالقارئ العراقي الآن أمام أفق حر، ولديه هامش من الوقت يمكنه من القراءة بعد ان كان محروماً من اقتناء الكتب الجيدة لسنوات طوال.

ويقترح الحجية أن يوزع عدد من النسخ من كل كتاب عن طريق مندوبي المدى في المحافظات لأن هؤلاء يعرفون القراء الحقيقيين، وبالتالي سيحصل هؤلاء على نسخهم، فأنا شخصياً لا أحصل أحياناً على الكتاب في يوم توزيعه لكثرة الإقبال عليه.

فيما يرى عدنان ذرب . صاحب مكتبة في بعقوبة . أن هذا المشروع ممتاز بالمقاييس كلها، يسهل عملية وصول الكتاب إلى القراء الاعتياديين والنخبة المثقفة، ويضيف: أقترح أن تجر عملية اختيار دقيقة لنوعية ما ينشر، وأن تعطى الأولوية لكتب أساطين الأدب العربي وكتب المفكرين القدامى. يبقى هذا المشروع مثمراً وناجحاً وقد نشر خلاله كتب مهمة مثل الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق وطبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي، ومذكرات هدى شعراوي وغيرها.

زيادة عدد النسخ

ولأبي غزوان . بائع صحف . وجهة نظر بمشروع المدى للكتاب المجاني.. يقول: إنه مشروع جيد، وفي يوم توزيع الكتاب ألمس إقبالاً كبيراً على شراء الجريدة مع الكتاب، ولأيام عديدة يسألونني عن الكتاب، وأحياناً عن كتب صدرت ضمن المشروع قبل أشهر، ويوصونني في أن أحتفظ لهم بنسخ من الإصدارات الجديدة، وأنا أقترح بأن تزيد المدى عدد المطبوع في يوم توزيع الكتاب، وأن يزيدوا حصص المحافظات ليتسنى لنا تلبية طلبات الجميع.

ويقول علي . بائع صحف جوال: هناك قراء محددون لجريدة المدى، وهؤلاء هم الذين يحصلون على الكتاب المجاني، إذ من غير المعقول أن أبيع الجريدة والكتاب لزبائن طارئين في يوم توزيع الكتاب.. هناك من لا يسأل عن المدى إلاّ في هذا اليوم من أجل الحصول على الكتاب مجاناً. أتمنى زيادة عدد النسخ ليحصل الجميع على الكتاب ويستفيدوا.

تقليد غير مسبوق

ويعد الدكتور فاضل عبود التميمي . أستاذ جامعي . المشروع تقليداً ممتازاً، وجديداً على الحياة الثقافية في العراق. ويقول، على حد علمي لم تعرف الصحافة العراقية مثل هذا التقليد، ولم تقدم كتاباً بالمجان منذ ميلادها حتى الآن.. ولو دققنا النظر في سلسلة الكتب المنشورة نجد أن هذا الكم بحاجة إلى تنويع، وأرى أن يجري التركيز على الكتاب العربي للمؤلف العربي ليكون هو المتصدر للقائمة وليست الكتب المترجمة التي تنحو منحى فكرياً محدداً.. نحن بحاجة إلى كتاب مختلف في كل مرة في الأسلوب والمضمون وطريقة العرض للمادة. وقد قرأت كتب السلسلة كلها، وأجد من الضروري أن تعتمد الدار كذلك الكتب التي تخص الفنون مثل المسرح والسينما والموسيقى والتشكيل لأن المكتبة العربية فقيرة في هذا الجانب.

وتقول زهراء علي . معلمة: لم أحصل من السلسلة إلاّ على ثلاثة كتب، وأتمنى أن أحصل على الكتب الأخرى أيضاً.. وأقترح أن يكون هناك مشروع مواز يوفر الكتب بأسعار زهيدة ليتمكن القارئ الاعتيادي من اقتنائها. وفي هذه الحالة لن يحصل على الكتاب إلاّ من يريد أن يقرأ حقاً.

ويعترف مهدي عبد الرحمن أنه لم يقرأ أياً من كتب هذه السلسلة لأنه لم يحصل عليها ببساطة، ويقول، أليس المطلوب مع وجود مثل هذا المشروع أن تكون هناك دعاية إعلامية كافية لها، عبر الصحف الأخرى والراديو والتلفزيون، ليعرف المواطنون به. لماذا في العراق نفعل دائماً الأشياء الجيدة بصمت.. تصور لو كان مثل هذا المشروع في مصر أو الإمارات.. أقترح أن تنظم مكاتب المدى في المحافظات ندوات عن هذه الكتب بشكل دوري لتتم مناقشتها.

تخطيط ستراتيجي

في البدء ظهر المشروع كأنه بصدد طرح اتجاهات فكرية دقيقة وعميقة، وبعد ذلك راح يخرج عن الإطار العام نحو التنوع.. إذ ما العلاقة بين كتاب (الإسلام وأصول الحكم) والقصص الخرافية لهانز كريستيان؟. نرجو أن تطرح قضية ما تتعلق بحياتنا الفكرية والثقافية، من خلال إصدار عدة كتب حولها، لتعميم الفائدة.. هذا ما يقوله (حاتم الشيباني . مدرس وطالب دكتوراه)، ويردف قائلاً: حبذا لو يتم التركيز على الكتب التي لاقت معارضة من قبل القوى والسلطات التقليدية وطرحت قضايا المجتمع بجرأة وموضوعية مثل كتب قاسم أمين عن المرأة.. كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين.. كتب عن المعتزلة مثلاً.. وكتب تهتم بقضايا الفكر العربي العقلاني المعاصر.

ويقول ماجد القيسي . معاون معهد إعداد المعلمين في بعقوبة: يتيح هذا المشروع تكوين موسوعة معرفية تكون في متناول القراء من جميع الشرائح، وأرى أن ما تفعله دار المدى هو نوع من التكريم أيضاً لكتاب موتى، إلى جانب تسهيل وصول نتاجاتهم الى قراء معاصرين متعطشين للمعرفة.

ويقول خضير عباس . مدرس: أن هذا مشروع حضاري بحق، واعتقد أن وراءه تخطيطاً ستراتيجياً وعقليات كبيرة، لأن مثل هذا المشروع لا يمكن أن ينشأ عفوياً.. حصلت على بعض الكتب من السلسلة، وهي الثلاثة الأخيرة، ومن خلالها تعرفت على جريدة المدى وبت اطالعها على نحو يومي.. أقترح توزيع بعض النسخ على مكتبات المدارس الثانوية والجامعات لتكون متاحة أمام شريحة واسعة من الطلبة.

ويعترف أحمد حمزة . صاحب متجر . بأنه اكتشف أيضا جريدة المدى من خلال الكتاب المجاني.. يقول أحمد: والله جريدة المدى ممتازة، فيها التقارير المترجمة والموضوعات الثقافية والفكرية والتحقيقات الرصينة.. إنها جريدة وطنية وعراقية بحق. أما الكتب فأعطيها لأولادي كي يقرؤوها بعد أن أقرأها أنا..

استعادة متعة القراءة

لماذا الكتاب المجاني؟. تتساءل بشرى كامل . موظفة . وتجيب: أعتقد أن لهذه المبادرة قيمة معنوية، فمن يعطيك الكتاب مجاناً إنما يدعوك الى القراءة، وأنا لم أقرأ كتاباً منذ زمن بعيد حتى حصلت على القصص الخرافية لكريستيان فقرأتها من الجلد إلى الجلد وصرت انتظر صدور الكتاب في كل شهر.. نسينا متعة القراءة حتى أعادتنا إليها هذه الكتب.

(هذا مشروع ناجح، فماذا يريد القارئ من جريدة اكثر من هذا؟) يقول رعد عبد الهادي . مدير إعدادية مهنية في بعقوبة . ويضيف: أرجو أن يكون هناك تنوع في الموضوعات، وأن لا يقتصر المشروع على الكتب الأدبية والإنسانية.. لماذا لا تكون هناك كتب عن علوم الحاسبات، والعلوم التطبيقية الأخرى، وعن عالم الحيوان، وكتب ذات طابع سياحي وجغرافي عن الدول الأخرى تتحدث عن عادات وتقاليد وثقافات تلك الدول التي لا نعرف عنها أشياء كثيرة.. فضلاً عن كتاب فصلي عن مشاكل العراق، وعن الحياة اليومية العراقية تعين الحكومة في التعرف على أحوال البلد وتوفر لها المعلومات المناسبة بهذا الصدد.. وكتب تؤكد القيم الوطنية العراقية وتنبذ الطائفية والعرقية والتعصب.. هذه أشياء كثيرة ولكنني أتمنى أن تحققها المدى فهي قادرة عليها.